

القيم التربوية في مسرح الطفل

مسرحية سمير و الرحلة المدرسية للقاصة كهان مسعودة - أنموذجا

د.فاطمة دخية

د.صليحة سبباق

جامعة محمد خيضر. بسكرة

تمهيد:

مسرح الطفل فاعلية تعبيرية تخرج من نطاق المكتوب إلى المسموع المشاهد فالتفعيل، والترويض لحواس الطفل ليس بالأمر الهين إذا ارتبط المنتج بفاعلية أخرى إنتاجية تسمى بالغاية الفنية أو التأثيرية على حد سواء التي يسعى من خلالها المبدع في برمجتها داخل فعل المنظومة الفكرية للطفل لأن مسألة الترويج للقيم قد تبدو سهلة لكن في حقيقة الأمر تحتاج إلى وعي ثابت، و استراتيجية فنية متمرسة واعية، و جادة ملائمة لمستوى إدراك الطفل و بالطريقة التي تلامس مكن النفس داخل طقس الكينونة التي يقبع خلفها .

لهذا كان الإخلاص في الفن الموجه للطفل لازما عن طريق غرس أفكار قيمية تعمل على بناء الجزء الأكبر من شخصيته عن طريق الذوق الذي يستهويه الطفل بلا شك و هنا يأتي دور المبدع الفنان الذي يحاول بريشته إضاءة القيم المرغوب فيها. فتدخل فنية التفكير، و ثقافة الإبداع لدى المنتج من جهة، و أهمية التجاوب بين هذه الشريحة العمرية و المعطيات الفنية من جهة أخرى.

أولا : مفهوم مسرح الطفل

هي " تسمية تطلق على العروض التي تتوجه لجمهور الأطفال و اليافعين، و يقدمه ممثلون من الأطفال، أو الكبار، و تتراوح غايتها بين الإمتاع و التعليم "¹ لأن المسرح دون شك من بين أبرز المؤثرات القريبة إلى ذوق الطفل، و ميولاته النفسية لأن الهدف ينحصر في " ترفيه الطفل و إثارة معارفه و أخلاقه، و حسه الحركي "² و استثارة كوامنه و قدرته الإبداعية في خلق جو تعليمي ممزوج بروح الإثارة التي تحدث في خياله.

" ويؤدي المسرح دورا مرموقا في مجال توجيه الأطفال و إنماء مداركهم، و يدرّب الأطفال على الحياة، حيث يحقق تدريبا إيجابيا مفعما بالعظة و الأحكام الأخلاقية، و هو مدرسة الفصاحة و الانفعال المضبوط، و المسرح ليس أدبا فحسب، و لكنه بما يصاحبه من مؤثرات "³ أخرى تعمل على بناء صرح الطفل من جميع الجوانب الأخلاقية، و الشخصية و الاجتماعية ، و غيرها التي تساعد على إعدادة إعدادا سليما .

و لا يتأتى هذا الإعداد السليم إلا بواسطة الترويج للقيم من خلال ترويض حواس الطفل بواسطة هذه المادة التعبيرية الفنية التي تجمع بين قوة التنوير، و الوعي، و قوة الجذب و التأثير لحث الطفل، و بث الرغبة فيه للتأمل، و التعلم، و الاكتشاف .

حاولنا في هذه المداخلة استنطاق نصا مسرحيا موجها للطفل الجاد في مضامينه و أبعاده الفكرية يلامس دون شك نبوءة المبدعة لحضة فعل الكتابة لأنها نفخت فيه دون شك شذى الروح لتهمس في أذنه (الطفل) سنفونية جاءت ألحانها بإيقاع البراءة مقام الطفولة لهذا كانت الكتابة مليئة بفيض التجارب، و عمق الأشياء . إذن

- كيف استطاعت المبدعة تفعيل تلك الطاقة الإبداعية في توجيه تفكير الطفل، و سلوكه بفعل الكتابة المسرحية من خلال مسرحية " سمر و الرحلة المدرسية " ؟

- وهل لبروز القيم على جسد المسرحية الموجه للطفل ضرب من ثقافة الإبداع التي تبحث عن توجيه مسار الطفولة في المستقبل، و من ثمة بناء نشء قادرا على مواجهة الواقع و الحياة ؟

ثانيا: القيم التربوية في مسرحية " سمير و الرحلة المدرسية :

تعددت القيم التربوية في مسرحية " سمير والرحلة المدرسية" و تنوعت . إذ قدمتها المبدعة في شكل مثير ، و محفز من خلال فنية الحركة، و براعة التشكيل في جو من الإثارة التي تعزف على خيال الطفل، و مدركاته العقلية بهدف تنمية إحساسه، و مرونة تفكيره تجاه كل ما يحيط به . و من بين هذه القيم نذكر :

1- القيم الاجتماعية

و تمثلت في :

أولاً: الشعور بالجماعة :

جاءت القيم الاجتماعية بشكل ملفت للانتباه في مسرحية " سمير و الرحلة المدرسية " من خلال الشعور بالغير، و الجماعة ، لأن الاحتكاك بالجماعة يجعل منه كائنا فعالا، وعضوي داخل المجتمع يتألق، و ينبض داخل أحضانه لأن هذا الإدراك يولد نقطة البدء للتقدم نحو الزاوية الاجتماعية لفهم ديناميكية العلاقات التي تبرز دوره كعضو، أو جزء لا يتجزأ من هذه الجماعة .

وقد كان لهذه القيمة نصيب في مسرحية سمير و الرحلة المدرسية أثناء شعور الطفل سمير بأمه، و مبادلتها شعور المرض التي كانت تعاني منه إذ قال في المشهد الأول من المسرحية " أرجو شفاؤك فأنا أشعر بك و أنت تتألمين كما لا أخفيك أنني أشعر بالخوف

عندما أبقى وحدي و أنت بالمستشفى وأذهب إلى فراشك و أحضن مخدتك حتى أشعر بالأمان و أنام . " 4

قامت المبدعة في نسج هذه القيمة الاجتماعية (الشعور بالغير والجماعة) بطريقة لافتة أكثر براعة في تحقيق الهدف القيمي من خلال تحديد شعور الطفل سمير تجاه أمه فالأم مدرسة، و غالبا ما يميل الطفل إلى مصدر القوة، و التماسك، و الانسجام داخل البيت لأن بداية هذه القيمة تبدأ من أول احتكاك مباشر له داخل الأسرة، و بخاصة الأم ثم تأخذ بالتطور إلى خارج ذلك في مختلف المعاملات بين الجماعات والأفراد .

ثانيا: الإدراك بالمسؤولية والاحترام :

وفي موضع آخر حلقت المبدعة بذهن الطفل إلى طقس آخر من الطقوس الاجتماعية وأرست به في قمة الإدراك بالمسؤولية، و الاحترام و في نفس المشهد مع الطرف الذي يستطيع ضبط فاعليته الاجتماعية هي الأم وليس بعيدا عن الطفل سمير حينما تدمر من أمر الرفض الذي أوشك أن يهدد المتعة التي كان سيحظى بها من خلال الرحلة التي نظمتها إدارة المدرسة فتبدو معالم شرود الذهن مرة، والبرود لحظة، والتردد في طلب المبتغى مرة أخرى في نفس سمير ولأن المبدعة أرادت أن تضيف مسحتها المؤثرة على الطفل وسلوكه اجتماعيا جعلت الأم في كل مرة موجهاً لفعل التمرد على طاعة القوانين، والأوامر والتصويب لأن الطفل دون شك يقلد، ويحاكي وهذا ما ينتافى مع المؤسسة الاجتماعية و فعل الكتابة الحساسة الموجهة للطفل فحسن الأداء الإبداعي جعلت من سمير يرضخ حتما لمبدأ الاحترام انطلاقا من الإدراك، والشعور بالمسؤولية فيقول " سأبذل كل جهدي لتكوني أسعد أم في الدنيا وسأواجه معك كل الظروف الصعبة حتى نقهرها معا بإذن الله " 5.

لأن الظروف التي كانت تعيشها الأم بفعل فقد الأب، والبنت هدى و الضغوطات المالية التي كانت تقف عائقا تجاه تحقيق مبتغى الطفل، ومثبطا لعزيمة الأم في أداء دورها

والإحاطة الشاملة بسمير، وسد حاجياته حولته المبدعة إلى فعل ترميمي لشخصية الطفل القارئ، والمتلقي لكي تشكل له ذلك الحاجز الذي يقيه من أي رد فعل داخل المؤسسة الاجتماعية لهذا كان الترويض الإبداعي بأنامل المبدع وهجا أطلق كل نورانيته داخل كل زاوية تنبض داخل الفعل الإدراكي للطفل .

ثالثا : الوفاء بالوعد :

و إلى فعل مؤثر آخر داخل سياق القيم الاجتماعية يبرز احتياج الطفل إلى أطر أخلاقية جسدتها المبدعة بمفهوم الوفاء بالوعد من خلال حث الأم لابنها سمير بالالتزام بهذا الخلق.

إذ قالت : " لم يكن عليك أن تعدهم ...قل لم الحقيقة.

سمير : أقل لهم الحقيقة بعد ما وعدتهم بأنني سأرافقهم ... لا هذا غير ممكن

الأم : لا تعد أحدا بشيء حتى تكون متأكد أنك قادر على تنفيذ وعدك له .

سمير : حسبت الأمر من حقي وخشيت أن ينظروا إلي نظرة العطف والشفقة إذا أخبرتهم بالظروف .

الأم : الحقيقة دائما تجعل الناس يحترمونك، وأنت لم تفعل هذا من قبل وكنت تستشيرني ولا تندفع مع مشاعرك أو حتى تغرك المظاهر ماذا حدث؟⁶

ثانيا :القيم الأخلاقية :

أكدت المبدعة أيضا من خلال منجزها المسرحي على ضرورة بناء الطفل أخلاقيا من خلال جملة من القيم التي حاولت من خلالها تقويم الفعل السلوكي للطفل ومنها:

1- الطاعة :

قد تبدو في الظاهر غرس هذه القيمة سهلة يسيرة (الطاعة) في الواقع النفسي للطفل لكن هي في الحقيقة الأمر مليئة بالتحديات إذا ارتبطت بمسألة التوظيف داخل سياق الفعل الإبداعي المسرحي لأن المهارة الفنية للمبدع تصبح حتمية، و لازمة في تخيير السياق الذي يعمل على مراوغة إدراك الطفل بدرجة عالية من الدقة ليستقبلها بهدوء، و يسر لاستثمار تلك الطاقة الإيجابية في المستقبل. وقد جسدتها المبدعة في العلاقة بين سمير وأمه أيضا في مجموعة متعددة متفرقة داخل المسرحية بصوت سمير مرة إذ يقول :

" أختي...أختي (يدور في الغرفة لا يجد هدى) هل كنت أحلم ... غير معقول . لقد شعرت بوجودها فلا شممت رائحتها الطيبة ما أعباني ... لقد أغضبت أُمي ... ماذا حدث لي الأفكار الشريرة التي راودتني من أجل إرضاء زملائي ... يجب أن أطلب من أُمي مسامحتي لا أتحمل فقدانها...هي كل ما تبقى لي (أستغفر الله) (يخرج من الغرفة ينادي أمه و يبحث عنها في أرجاء البيت لكنه لا يجدها)."⁷

ثم يخرج من البيت و في روحه بهجة الانتصار على الروح الضدية التي كادت أن تسيطر عليه في لحظة ما و هو يردد في جو من النشوة :

" أمي ... يا أمي ... يا أغلى ما عندي

أنت توأم روحي أنت زهرة حياتي

أنت بسملة أيامي أنت نور أحلامي

يا أمي يا أمي يا أمي

ربي أمرني أطيعك رضاك عني مفتاح الجنة

و الجنة تحت أقدامك سامحيني يا أمي سامحيني

حتى أدخل الجنة

حتى أدخل الجنة⁸

جعلت المبدعة من خلال هذا المقطع روحا نابضة تعلم الطفل، و تحثه على قيمة الطاعة التي هي دون شك قيمة تدخل ضمن البنى الأخلاقية التي تعد الطفل إعدادا ذاتيا فعالا داخل المجتمع .

2-القناعة والصبر :

وغير بعيد عن الطاعة تأتي قيم أخرى ضمن المنظومة الأخلاقية التي عملت المبدعة في إخراجها فنيا ضمن سياق المسرحية نجد **الصبر والقناعة** وهي دون شك قيم تعمل - كما ذكرنا سابقا - على إبراز الخطط الفعالة و الناجعة في بناء شخصية الطفل نفسيا، وأخلاقيا . و يظهر في هذا المقطع :

سمير (متعجبا) : إنها السلسلة... السلسلة التي أهداك إياها أبي عندما جاء من العمرة

الأم :نعم ... كنت تعتقد أنني بعثتها ... لكن لم أفعل لأنني كنت أنوي أن أقدمها لك هدية في عيد زواجك لتبقى تذكارة من والدك رحمه الله.

سمير: أعرف تردين بيعها من أجلي ... لا يا أمي هذه السلسلة غالية عليك لا أريدك أن تفكري لحظة في بيعها.

الأم : لكن أريد أن أسعدك ما فائدة السلسلة إذا كنت حزينا محروما من أشياء يتمتع بها زملائك وأنت تستحق أثر من هذا .

سمير : مادمت معي فأنا لست محروما من شيء وإذا بعنا هذه السلسلة اليوم و احتجنا إلى شيء مهم مرة أخرى فماذا سنبيع ؟

الأم : لن نحتاج بإذن الله .

سمير : لقد طلبتي مني الصبر والقناعة و فعلا اقتنعت بكلامك بعدما هدأت و أردت أن أخبرك لكن لم أجذك و كانت نتيجة كلامك في الحصة التي زارنا المدير و أخبرنا (سكت سмир).⁹

ثالثا : البنى الشخصية

وقد ركزنا في هذا العنصر من البنى الشخصية على العدوانية و التفريغ السلبي لدى الطفل من انفعالات ومشادات مما تنتج في الأخير قيما سلبية تؤثر في شخصية الطفل على سلوكه، وقد ظهر هذا الأخير في مجموعة من المشاهد ضمن المسرحية لكن المبدعة لم تترك الأثر والفراغ إلا و شخصته لأن الهدف هاهنا هو التقويم ضمن المضمار الفني والإبداعي للسلوكيات السلبية التي تؤثر بصفة مباشرة على الهيكل النفسي للطفل ومن هذا نذكر بعض التصرفات التي توحى بذلك في المسرحية .

" سмир يتحرك في غرفته ساخطا غاضبا يرمي بكتبه و كل ما يصادفه في طريقه .

سمير : ماذا أفعل الآن ...أهكذا ستنتهي حياتي . لا بد من وجود حل (يأخذ بعض الكتب ثم يرميها)

سمير : هذه لا قيمة لها . (ثم يقلب ثيابه باحثا عن شيء يبيعه)

سمير : هذه ثياب قديمة لا يلبسها حتى المتسولون . ماذا أفعل يا ترى .¹⁰

نرى هنا تلك العدوانية الداخلية التي سيطرت على سмир نتيجة ظروف خاصة لكن عملت المبدعة بشيء من البراعة والتأثير تصويبها و بطريقة مرنة و مؤثرة.

رابعاً : البنى الثقافية

قامت المبدعة أيضا ضمن هذه المسرحية بفعل التعبئة الثقافية إذا صح التعبير وتنمية السلوك الثقافي للطفل، وكان هذا من خلال تجسيد قيمة الذكاء عند سمير في مواجهة صعوبات الحياة، وإدراكه حجم المسؤولية التي كانت على عاتق أمه، والظروف التي كانت تعيشها نتيجة فقدان الزوج والبنات، والحرمان من الزوج والبنات .

كذلك قيمة التعلم والمعرفة لأن الكاركتير الذي نسجته المبدعة لسمير من شأنه أن يبعث في نفس الطفل المتلقي شحنة، وطاقة إيجابية نحو التقدم، والتطور في الدراسة ونيل المراتب الأولى لأن نتائج سمير في الدراسة تجعل من البيئة التعليمية للطفل المتلقي تنمو وتتطور أكثر فأكثر.

وفي الأخير نستطيع القول إن :

- المسرح الذي يقدم للطفل ينبغي أن يراعي طبيعة الطفل، وسلوكه، ميولاته وعاداته ليثيره ويثير إدراكه، وإحساسه، وهو جوهر هذا الفن والمبدعة في هذه المسرحية سمير والرحلة المدرسية قدمت له وجهات عدة، ومعطيات ثرية جعلت من الطفل يعيش تجربة فنية حقيقية استثمر منها مجموعة من القيم المتعددة فتحت له نوافذ من التواصل الصعب.

- نلتمس في مسرحية سمير والرحلة المدرسية كتابة تعبيرية صادقة، وعمق معرفي وطاقة حيوية نابضة، وقيم ومفاهيم تربوية، وتعليمية أصيلة حققت دون شك الفائدة التربوية الشاملة .

- انطلقت المبدعة في هذه المسرحية أيضا من نقطة أساسية بالمعنى الفني ألا وهو تفعيل دور الحوار في نفس الطفل من جميع المناحي، والأبعاد، والمعاني أي بالمعنى

الاجتماعي، والثقافي، والفني والإنساني وإلى غير ذلك فجعلت منه طاقة لممارسة فن الاستحواذ على مدركات الطفل لبث جو القيمة التربوية والتجربة التعليمية .

الهوامش :

- 1- ماري الياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي مفاهيم و مصطلحات المسرح وفنونه، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1997، 1، ص 41.
- 2- علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مصر، ط2، 1999، ص 56.
- 3- علي أحمد كنعان، أثر المسرح في تنمية شخص الطفل، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد 1، 2011، ص 89.
- 4- مسعودة كهمان، سمير والرحلة المدرسية ، ص 1.
- 5- المصدر نفسه ، ص 10.
- 6- المصدر نفسه ، ص 4.
- 7- المصدر نفسه ، ص 7.
- 8- المصدر نفسه ، ص 8.